تجارب تطبيقية

تجربتي في توظيف الدراما في تدريس اللغة العربية

جمعة محمد عسفة

بدايةً، أتوجه بالشكر وعظيم الامتنان لمركز القطان للبحث والتطوير التربوي مديراً وباحثين، على ما يبذلونه من جهود تهدف في مجملها إلى تطوير أداء المعلمين، والارتقاء بمهاراتهم من الكفاية إلى الكفاءة، كما أشكرهم على إتاحتهم الفرصة لي بالحديث في هذا المؤتمر الهادف، عن تجربتي الشخصية في مجال الدراما، التي سأقوم بعرضها على الحضور الكريم دون الغوص في علمها وأساليبها وتطبيقاتها، فسينصبُّ حديثي عن التجربة الشخصية بمراحلها المتعددة، مُردفًا إياها ببعض الملحوظات التي أشعر أنها قد تكون مفيدةً لكل من لديه رغبة بالخوض في هذا المجال.

المرحلة الأولى: مرحلة التعرف على موضوع الدراما، الذي كنت أجهل الكثير عنه في البداية، وجُل معرفتي به أنه أسلوب يتم من خلاله تلقين الطلبة خارج الفصل بأدوار معينة لتنفيذها داخله، ولكن بفضل اللقاءات التربوية مع باحث اللغة العربية في مركز القطان، وبفضل كتابات الأستاذ وسيم الكردي وتطبيقاته الدرامية في درس رجال حول الشمس، وضحَت الصورة بعد غموضها، واتسعت الفكرة بعد ضيقها.

المرحلة الثانية: فهي مرحلة التخطيط، التي تم فيها تطبيق ما تم تعلمه واكتسابه من أساليب درامية جديدة على أحد الدروس المقررة على الطلبة، حيث وقع الاختيار على نصٍّ شعريٍّ بعنوان: "رسالة إلى صديق قديم"، وهو مقرر على طلبة الصف التاسع الأساسي، وقد تم الاختيار بمشاركة بعض المعلمين الذين ساهموا في التخطيط والإعداد لهذا الدرس، الذي تم نسجه ليخدم تعليم الدراما كهدف، إضافةً إلى غرس القيم النبيلة في نفوس الطلبة، ولم نغفل التقويم بمراحله الثلاث، كما لم نغفل الأنشطة بشقيها الشفهي والكتابي، والصفي والبيتي، كل ذلك تم التخطيط له في سياق درامي استظل بمظلة التعلم التعاوني.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة التنفيذ، ففي بداية الأمر شعرتُ بصعوبتها، وانتابني شعورٌ بالإحباط، وذلك بعد محاولتي الأولى بتعريف الطلبة بهذا الأسلوب الجديد، مستعيناً ببعض المشاهد التي ذكرها الأستاذ وسيم الكردي تطبيقًا على درس رجال حول الشمس، فقد واجهتني بعض المشكلات، منها:

* خجل بعض الطلاب من عملية التمثيل لأدوار معينة بشكل فردي في بداية الأمر.
* مساحة غرفة الصف لا تسمح بأداء بعض المَشاهد الجماعية بشكل جيد.
* زمن الحصة غير كافٍ لتطبيق الدرس.

ولا أخفيكم سراً أنني بعد هذه الحصة، قررتُ في نفسي ألا أطبق الدرس المخطط له، ولكن إلحاح العديد من الطلبة عليَّ بالسؤال: متى سنكمل درس الدراما؟ جعلني أعدِل عن قراري السابق، وأحدد موعداً لتنفيذ الدرس، مع تغيير مكان غرفة الصف ليكون المَكتبة، وإطالة زمن الحصة ليكون ساعة واحدة. وتم التنفيذ على النحو التالي:

أولاً- التهيئة: فقد ذكَّرتُ الطلبة بالنص الشعري، ومن ثم طلبتُ منهم الوقوف والتجوال داخل غرفة المكتبة ذهاباً وإياباً، مع استشعارهم بأنهم مسافرون فعلاً، وتهدف هذه الخطوة إلى كسر الحاجز النفسي أمام الطلبة، وتصديق الحالة الشعورية.

ثانيا- انطلاق الدراما: وفيها طلبتُ من الطلبة استحضار بعض القصص الواقعية والقريبة من موضوع النص الشعري وهو الهجرة؛ لإشعار الطلبة أن الموضوع الذي سيتم نقاشه ليس خيالياً، بل واقع ملموس، إضافة لدمج الخبرات السابقة بالجديدة.

ثالثا- بناء الاتفاقية: وفيها أوضحتُ للطلبة ما أتوقع منهم فعله خلال الحصة، وطلبت منهم أن يتعهدوا بأنهم سيلتزمون بما أطلب منهم، وهي خطوة تهدف إلى إثارة دافعيتهم وتحملهم للمسؤولية.

رابعا- المشهد الأول (مسرب الوعي): حيث قام أحد الطلبة بتمثيل دور شاب يطلب منه صديقه في الخارج الهجرة، فيهاجر ويتعرض لمواقف معينة توقعه في الحيرة بين الاستمرار بالهجرة أو العودة، فيمر بين الطلبة ليسمع منهم آراءهم قبل أن يقرر إما الاستمرار في الهجرة وإما العودة إلى أرض الوطن، ولم يتم تلقين الطالب ما سيقوله في هذا المشهد، بل أعطي فكرة المشهد فقط، بهدف إتاحة الفرصة أمامه للإبداع والتحدث عن مشاعره.

تم تعزيز الطالب بعد انتهائه، ومن ثم طرحت أسئلة تتعلق بما تم تمثيله.

خامساً- المشهد الثاني (الشخصية الجماعية): وقام بتنفيذه عشرة طلاب، يجلسون في صالة مطار للهجرة، منهم من يمثل دور المقتنع، ومنهم من يمثل دور غير المقتنع، يدور بينهم حوار، وكل طرف يحاول إقناع الطرف الثاني برأيه، وفي النهاية يقررون إما الهجرة وإما العودة، وعلى المنوال نفسه في المشهد الأول تُرك العنان للطلبة للحديث كيفما شاؤوا وفق الأسس السابقة.

بعد ذلك تم توزيع الطلبة إلى أربع مجموعات، بهدف تنفيذ نشاط كتابي يتعلق بغرس قيم نبيلة مرتبطة بالهجرة، وبعد زمن محدد جمعت الأوراق، ونوقشت مع الطلبة، ورصدت النقاط لكل مجموعة لبث روح التنافس بينها.

سادساً- التقويم الختامي: وكان عبارة عن كتابة لافتات من وحي خيال الطلاب، يحثون فيها الشعب الفلسطيني على التمسك بأرضه ووطنه ورفض الهجرة، وتم تنفيذه بنظام المجموعات، وكل مجموعة تعرض شعارها. وفي النهاية رصدت النقاط لكل مجموعة.

سابعاً- النشاط البيتي: وتضمن كتابة رسالة أو قصة ذات علاقة بموضوع الهجرة.

المرحلة الأخيرة: مرحلة التقييم، وفيها استمع مجموعة من المدرسين لشريط الفيديو المسجل عليه الدرس التوضيحي، وتمت مناقشة ملاحظاتهم حول تطبيق الدرس.

ملحوظات حول تطبيق الدرس:

- لنجاح هذه النوعية من الدروس لا بد من إيمان المعلم بجدواها.
- تحتاج هذه الدروس إلى معلم لديه القدرة على ضبط الصف.
- يفضل تطبيق نماذج مشابهة من هذه الدروس مرة واحدة كل فصل دراسي وخلال حصص النشاط.
- الدراما تساعد على إذابة الجليد بين المعلم والمتعلم.
- الدراما تثير دافعية التلاميذ ورغبتهم في تعلم المزيد.
- أتاح الدرس فرصة ثمينة للطلبة الذين يغلب على شخصيتهم الانطواء بالمشاركة، حيث لاحظت مشاركة بعضهم في المشهد الجماعي.
- قد تساهم الدراما في العلاج النفسي لمن يعانون من ضغوط نفسية، حيث يتيح لهم الدرس التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم بحرية.
- تنفيذ درس الدراما ليس بالأمر المستحيل، فبمجرد تطبيق التجربة الأولى يصبح الأمر أكثر سهولة.
- هناك أساليب درامية أخرى يمكن تنفيذها غير ما تم تطبيقه في هذا الدرس.
- يمكن تطبيق درس الدراما في مساقات أخرى غير اللغة العربية مثل مبحث التربية الإسلامية والتربية المدنية وغيرها من المباحث التي تعنى بالقيم.
- يساهم درس الدراما في كسر الروتين المتبع في المدارس ويزيد من انتماء الطالب لمدرسته وحبه لمعلمه.

جمعة محمد عسفة - مدير مدرسة / غزة